# طبيعة النفس

الملاحظ للعبادات في الإسلام يمكنه أن يتعرف ببساطة على منهجه في معالجة علل النفوس، حيث يتبع ديننا الحنيف أسلوب التنوع العلاجي المراعي لطبيعة النفس.

فالنفس التي قد تركن عبر شواغلها اليومية إلى كثير من اللمم، يمكنها أن تتخلص منه من خلال الالتزام بالصلوات المكتوبة، بل يمكنها أن تحصل بالإضافة إلى ذلك على حصانة مسبقة عن طريق النوافل، فإذا ما زاد اللمم عن هذا الحد تستطيع الشحنة الإيمانية التي يحصل عليها المسلم في صلاة الجمعة القيام بهذه المهمة، وهكذا إلى أن تقوم الزكاة والصدقات بتطهير النفس والروح، مبقية استعادة نقاء الفطرة إلى الصيام الذي يقضي على ما بقي من شوائب الدنيا وأدران الذنوب ووسخ المعاصي، ليستعيد المؤمن عقب شهر الصيام نقاء نفسه وبهاء روحه وسريرته، وبالتالي فإن فريضة الصيام تكاد أن تكون بالنسبة للمؤمن نقطة النهاية لفقرة من حياته كتب فيها بعض الذنوب لكنه استعان بـ"محاية" الصيام ليبيض صفحته ويبدأ صفحة جديدة في سجل حياته وقد تزود بالطاعة التي يهبها الله سبحانه وتعالى له جزاء التزامه بأخلاق الصيام،



obeikandl.com

حيث يقول سبحانه وتعالى في تذييل آية الحج " وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ " (البقرة – ١٩٧).

لذلك فمن الضروري تبصير المدعوين بالحقائق والأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية، على عكس من يتقمص شخصية غير شخصيته، فإنه يشعر المتلقي بأنه يثقل عليه أو أنه يؤدي وظيفة أو يقوم بواجب يريد أن يسقطه عن نفسه.

ومع ذلك فلا مانع على الإطلاق من أن ينتمي الداعية إلى مدرسة دعوية معينة أو ينتهج منهج شيخ ما، لكنه مع هذا مطالب بأن يضع بصمته وأن يجعل له شخصية من خلال أدائه وأسلوبه بحيث متى سمعه المتلقي قال هذا كلام الشيخ فلان، وما يدريه أن يكون في يوم ما علما من أعلام الدعوة، وما يدريه أن يكون له جمهوره ممن يقبلون منه ما لم يقبلوه من غيره ويتفاعلون معه بما لم يتفاعلوا به مع غيره ويهتدون به أكثر مما قد يهدون به على يد غيره.

الكثير من الدعاة يلتبس عليهم أن المتميز منهم في الدعوة باللسان ليس بالضرورة أن يكون متفوقا في كافة مجالات الدعوة، لكن الذي يحدث أن التفوق يغري بمزيد من التفوق، والنجاح في وسيلة من وسائل الدعوة يحمل رسالة ضمنية إلى صاحبه لم لا يخوض غمار كل مجالات الدعوة؟

لا أشك قيد أنملة أن من يفعل ذلك من الدعاة إنما يفعله رغبة منه في توجيه دعوته إلى أكبر قدر من المدعوين، متأملا أن

يهدي الله بـه أحدهـم أو أن يجـد بعضهم في سبيله ضالته المنشودة فيتبع سبيل الحـق، وهـذه في حـد ذاتهـا غايـة طيبـة لا أحد يجرؤ على انتقاد أصحابها طالمـا أنهـم يفعلون ذلـك لوجـه الله لا يبتغون من أحد جزاء ولا شكورا، لكن من حقهم علينا كذلك أن ننقل لهم وجهة نظر في مجال الدعوة أحسبها غابت عن معظمهم.

وجهـة النظر هـذه تتعلق بالقدرات التي يمنحها الله سبحانه وتعالى لبعض الأشخاص تختلف عن القدرات والإمكانيات التي يمنحها لآخرين، فربما يصادفك داعية قد تفوق في مجال الخطابة واستطاع أن يجعل لنفسه أسلوبه الخاص الذي ترتاح له الكثير من القلوب والعقول، سواء بحجته أو بلباقته أو بأدائه أو بإشارته أو بإلقائه أو بنيته التي تجعل كلامه يصل مباشرة إلى القلوب والعقول، لكن هذا لا يعني أنه لابد أن يكون باحثا جيدا ككونه خطيبا جيدا، لذلك يفترض أن يكثف هؤلاء جهودهم في المجال الذي نجحوا وتألقوا فيه حتى يؤتي ثماره المرجوة، خيرا من أن يضيع الجهد بعيدا عن قيمته الحقيقية.

ومثل ذلك تماما الباحث المتفوق الذي لا يملك وسيلة تؤهله للتفوق في مشافهة الناس، فإن ولوجه هو الآخر إلى مجال الخطابة ربما يجعله يخسر الكثير من مكانته كباحث لأن الناس اعتادوا عليه ككاتب أو باحث متألق وعندما يشافههم بأقل من هذا التألق فإنه يفقد جزءا كبيرا من قيمته.

وهنا يبدو تساؤل في منتهى الوجاهة عن أولئك الذين يملكون رؤية ويريدون توصيلها إلى فئة لا يلائمها إلا مجال غير المتألق فيه.

أظن أن هذا التساؤل يدعونا إلى ضرورة التنسيق بين الدعاة أو بين المشتغلين والمهتمين بمجال الدعوة، بحيث يستطيع الواحد منهم الاستعانة بالآخر والاستفادة منه أو لفت نظره إلى القضية التي كان يريد تناولها في مجاله، وبذلك فإن ربحية الدعوة من هذا التنسيق ستكون أوسع وتبدو الدعوة كوحدة واحدة تسير في اتجاه واحد همه وهدفه الوصول إلى الهداية العامة التي هي بغية كل داعية.

ومن الغريب أن يظن البعض أن الخطاب الديني يقتصر على المواعظ والخطب الدينية والندوات والمحاضرات، وهذا يخالف الحقيقة، لأن الخطاب الديني في حقيقته نصيحة عامة يمكن تقديمها حتى ولو أحاديث عابرة، على اعتبار أن "الدين النصيحة".

وشمولية النصيحة هذه ترشدنا إلى ضرورة الالتفات إلى استخدام وسائل متنوعة يمكن الاستفادة منها في مجال الدعوة.

وإذا كانت الدعوة في العصور الماضية قد استخدمت بالإضافة إلى الوسائل التقليدية كل الوسائل والأساليب المتاحة وقتها مثل الشعر واللقاءات المباشرة، وتوظيف المناسبات الاجتماعية والسياسية وغيرها، إلا أن العصر الحديث قد شهد العديد من

المستحدثات التي مازالت في حاجة لأن توظف دعويا بصورة أكثر فعالية.

فما زال فن التمثيل بكافة أفرعه من مسرح وسينما وتليفزيون غير موظف لخدمة القضايا الدعوية، حتى المحاولات القليلة التي جرت بالفعل خرجت بشكل يفتقر إلى

التفاعلية التي تضمن له التواصل مع الناس بما يحقق القدر الأكبر من الاستفادة، لكنها للأسف الشديد جاء معظمها بشكل مباشر لا يختلف كثيرا عن الخطب والمواعظ الدينية المباشرة، وهو الأمر الذي يفقدها كثيرا من قيمتها كوسيلة دعوية ذات تأثير من المفترض أن وقعه على النفس أسرع.

حتى أن بعض الأعمال الدرامية التي عالجت هذا الخلل، أقصد خلل التوجيه المباشر، وقعت في خلل آخر أخطر من حيث التأثير السلبي على المتلقين، حيث يلجأ بعض القائمين على هذه الأعمال إلى ما يسمونه الحبكة الدرامية، التي بسببها يغيرون بعض الحقائق والثوابت الدينية أو يخرجون العمل بمجمله عن وقاره كعمل ديني بدعوى الواقعية مثلا، وهو الأمر الذي يتطلب إعادة النظر من جديد في إمكانية توظيف الدراما في خدمة الدعوة توظيفا يليق بدقة المعلومات وبوقار الموضوع المطروح.

لذلك فإن الأمر يحتاج إلى مزيد من التخصصية التي يجب أن يحرص أصحابها على الإخلاص في تقديم هذا العمل،



obeikandi.com

بمعنى أن يشتمل فريق العمل بالإضافة إلى فريق العمل الفني المعتاد على فريق آخر علمي أكاديمي حتى يخرج في النهاية بالصورة المرجوة.

هذا الطرح يفتح الباب أمام تساؤل في منتهى الأهمية حول سبب إحجام القنوات الدينية المتخصصة عن إنتاج أعمال درامية دينية يمكن أن يعول عليها في تقديم نموذج جيد للدراما الدينية الدعوية سواء أكانت دراما تاريخية

أو اجتماعية واكتفائها بتقديم برامج وعظية مباشرة هي من وجهة نظري لا تعدو كونها أكثر من خطب مرسلة لا تستقطب إلا الفئة المهتدية أو الراغبة في المزيد من الاهتداء، أما الفئة القاصية فلا غرو أنها ستظل قاصية في ظل هذا الخطاب المباشر.

الأمر إذن يحتاج إلى إعادة صياغة حتى لا تبقى مشاهدة القنوات الدينية غير قادرة على استقطاب مشاهدين جدد أو بالأحرى التأثير على مهتدين جدد تغيرت حياتهم بسببها.

ولا عجب في ذلك وقد أصل النبي صلى الله عليه وسلم لابتكار وسائل دعوية ذات قبول وتأثير مباشرين مثل استخدامه للألغاز والفكاهة والسؤال والجواب في توصيل المعلومة.

★★★

obeikandi.com